المقتطف

الجزء الرابع من السنة الرابعة

١ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٩

اصل الانسان وآثارهُ

قد تتبعنا تاريخ الكرة الارضية من حين كانت غازاً طافراً في الفضاء على ما يظن الى ان بردت قشرتها وجمدت وارتفعت جبالها وانبسطت سهولها وظهرت نباتاتها وحيواناتها وابنّا ان النبات والحيوان عاشا عليها منذ ادهار كثيرة كما يستدل من آثارهما الباقية في طبقاتها . فبقي علينا ان نذكر شيئاً ما ذهب اليهِ العلماء في اصل الانسان ونصف بعض آثارهِ التي تدل على قدم عهدهِ وانتقالهِ من حالة الخشونة الى حالة الحضارة فنقول

قد كثرت المذاهب في اصل الانسان وتاريخ ظهورهِ على وجه الارض فمن قائل ان نوعاً من القرود المنقرضة انتصبت قامتهُ وبدت بشرتهُ واتسع دماغهُ ونقوّت قواهُ العقلية والادبية الى ان صار انساناً ولم يبلغ هذه الدرجة حتى مرّت عليهِ الوف الوف من السنين . وأتباع هذا المذهب من الطبقة الاولى بين رجال العلم . الاّ ان مذهبهم ليس لهُ ثبت جيولوجي قاطع في كل ما كشف من الآثار الجيولوجية في اوربا واميركا واسيا وافريقية حتى اتخذ ذلك اضدادهم دليلاً على فساد مذهبهم . واما بعض زعمائهم كالسر تشارلس ليل والسر جون لبوك وغيرهما من روّساء الجيولوجيين فيدّعون ان المكتشفات الجيولوجية لم تزل قاصرة لانحصار اكثرها في اوربا وانهُ لا بدّ من كشف آثار الانسان في طبقات البليوسين والميوسين في اسيا وافريقية فان صحّ انباؤهم كما صحّ انباء هكسلي عن آثار القرس ثبت رايهم والاّ بقي في حيز الاحتمال اذا لم يثبت نقيضهُ . اما الادلة التشريحية على هذا المذهب فكثيرة ولكنها ليست كافية للجزم بصحتهِ ولم تقنع كثيرين من اشهر المدققين في تشريح المقابلة

ومن قائل ان الانسان نوع قائم بنفسهِ وانهُ لم يرتقِ من غيرهِ بل وجد على الارض يقظةً ومن ادلتهم على ذلك ان بين اعلى انواع الحيوان وادنى طوائف البشر بونًا شاسعًا لا يتوسط فيهِ حيوان موجود ولا حيوان منقرض وان آثار الانسان القديم تبيّن انهُ كان في تركيب جسدهِ واتساع دماغهِ مثل انسان هذا الزمان وذلك مناقض لمذهب الترقي كما لا يخفى

وكما اختلف العلماء في اصل الانسان اختلفوا في تاريخ ظهورهِ على الارض فمنهم مَن يقول انهُ حديث العهد لا يتجاوز عشرة آلاف سنة ومنهم من يقول انهُ قديم جدًّا وهم الفريق الاكبر من علماء هذا الزمان ولكنهم مختلفون كل الاختلاف في مقدار قدميتهِ من عشرين الف سنة الى تسعة آلاف الف سنة وليس لذلك من سند جيولوجي سوى ان الجمجمة الفلانية وجدت مطمورة بكذا اقدام ما يلقيهِ النهر الفلاني من التراب وهذا النهر يلقي كذا اقدامًا في السنة او في القرن فقد طُمرت فيهِ منذ كذا الوف من السنين. مثال ذلك ان بعضهم كان يسبر وادي النيل فوجد قطعًا من القرميد على عمق ستين قدمًا وقدّر ان النيل يلقي على الارض ست عقد كل سنة فبحسب ذلك يكون قد مضى على تلك القرميدة اثنا عشر الف سنة من حين انطمرت وقس على ذلك . الّا ان بعض الآثار التي كان يعتمد عليها زعماء القائلين بقدمية الانسان قد ثبت الآن انها حديثة العهد حتى ان منها ما لا يتجاوز التاريخ المسيحي

وآثار الانسان كثيرة مختلفة وقد قسمناها للتسهيل الى اربعة اقسام عظميّة وحجريّة وطعاميّة ومعدنية. فالآثار العظميّة هي هياكل او جماجم او عظام متفرقة وُجدت مطمورة في بعض الاماكن. منها الهيكل الذي وجد في كهف منتون في ايطاليا وهو هيكل رجل طويل القامة (طولهُ ست اقدام) كبير الراس واسع الزاوية الوجهية (تبلغ ٨٥°) وحولهُ اصداف من اصداف البحر المتوسط بعضها مثقوب بيد الانسان وادوات صوانية وعظام من عظام وحيد القرن والموث والدب الكهفي والاسد الكهفي والضبع الكهفي وغيرها من الحيوانات البائدة. ومنها الهيكل الذي وُجد في كرومنيون في فرنسا علوُّهُ خمس اقدام واحدى عشرة عقدة وقد وصفهُ كاترفاج بكبر جمجمتهِ لان اتساعها ٩٧ عقدة مكعبة ووجدوا هناك عظامًا كثيرة تدل على ان اصحابها كانوا طوال القامة كبار الجماجم غير بارزي الاحناك . ومنها الجماجم التي وجدت في كهوف وادي اللس في البلجيك وهي من عظام اناس اقصر من المتقدم ذكرهم ولكنهم من اصل قوقاسي معتدل . ومنها الهيكل الذي وجد في كهف تندرئل وقد ظنهُ لَيل وهكسلي قديمًا جدًّا والّف فيهِ احد العلماء كتابًا وزعم ان عمرهُ ٣٠٠ او ٣٠٠ الف سنة وقال هكسلي و بسك وشنهوسن انهُ متوسط بين الانسان والفرد وهو مردود بان اتساع جمجمتهِ نحو ٧٥ عقدة مكعبة اي مثل اتساع جمجمة الزنجي واكثر من اتساع جمجمة

المائي واكثر من ضعفَي اتساع جمجمة الغوريلّا من اعلى طوائف القرود هذا فضلاً عن انهُ لا دليل قاطع على قدميتهِ وكل الآثار المتقدمة منسوبة الى المدة الحجرية القديمة (بليوليثية)

اما الهيكل الذي تراهُ شكل ٣٢ على صفحة ٧ من الصور في آخر الكتاب فقد وُجد في صخر كلسي في جزيرة كوادالوب وكان العلماء قد ظنوا انهُ من الآثار القديمة واما الآن فلم يبقَ شبهة في انهُ حديث العهد جدًّا . والشكل الذي عن يمينهِ صورة قطعة محجرة فيها قطع معاملة من سكة الملك ادورد الاوّل الانكليزي وقد وجدوها تحت قاع نهر الدوف ببلاد الانكليز بعشر اقدام

والآثار الحجرية قطع صوان كان قدماء البشر يجددونها ويستخدمونها سهامًا او سكاكين او فؤوسًا او نحو ذلك ولم يزل بعض القبائل يستعملونها الى الآن وهي تُقسَم الى قسمين قديمة وحديثة اما القديمة فغير متقنة وهيئتها غالبًا مثل الشكل ٢٣ و٢٤ على الصفحة السابقة حيث تجد صور بعض هذا الصوّان من الامام والجانبين وصورة قطعهِ ايضًا وهذه الادوات الصوّانية تُعرَف بالظرّان والقديمة منها اقلُّ اتقانًا في صنعها واقلُّ حسنًا في هيئتها من الحديثة كما يتبيّن لك من مقابلة الشكلين المذكورين بالشكل ٢٥ على الصفحة نفسها وهو سنان رمح . وقد وجدوا كثيرًا من هذه الآثار في اوربا واميركا واسيا وافريقية

والآثار الطعامية هي كوم من الاصداف طرحها الناس بعد ان اكلوا ما فيها . وهي كثيرة في اوربا واميركا وبعض الجزائر وقد عدّها ورساي من العصر الحجري القديم ولبوك من بداية العصر الحجري الحديث الاّ ان الاكتشافات الحديثة ابانت ان في بعضها قطع خزف ونحاس فهي احدث مما كان يُظن

والآثار المعدنية كثيرة في كل مكان والظاهر منها ان الانسان استخرج النحاس والقصدير اولاً ومزجهما فكان مزيجها اصلب من كل منهما وحدهُ وهو المعروف بالبرنز ثم استخرج الحديد وصار اكثر اعتمادهِ عليهِ . وخلاصة ما صرنا نعرفهُ عن الانسان بطريق العلم ان ليس لهُ اثر في طبقات الارض الاّ في المدّة الحديثة وانهُ كان يعيش بالصيد والقنص ويسكن الكهوف والخصاص ويستخدم الادوات الحجرية والخشبية . ثم جعل يرتقي في اتقان الاعمال واستخراج المعادن وادجان الحيوانات وتربية النباتات وينقرض ضعيفهُ من امام قويهِ